



و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

و تحسبونه هينا ٢

رواء الاثين | د. هند القحطاني

١٤٤٦/٢/٢٩ هـ



## ” وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ٢ ”

### بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله

### أما بعد

سنكمل اليوم حديثنا الذي بدأناه الأسبوع الماضي تحت ظلال قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ﴾ [النور: ١٥] وسنذكر في هذا اللقاء ما اتسع لنا ذكره مما اعتاد الناس فعله في حياتهم اليومية ويحسبونه هيناً من صفائر الذنوب التي يمحوها الله عز وجل. إن كل الذنوب تحت مشيئة الله تعالى ما خلا الشرك، لكن القضية هي أي من هذه الذنوب التي تعايشت معها قد تتحول إلى كبيرة دون أن تدري، والقاعدة الشرعية عند العلماء تقول: ” لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار“. فالقضية ليست بصغر العمل أو كبره وإنما اعتياده والإصرار على فعله.

### ❖ أنواع الذنوب:

والذنوب التي يرتكبها الإنسان باستمرار نوعان:

١. الذنوب الحسية: كالنميمة، والغيبة، والكذب، وأذى الناس باللسان، وقلة الحياء.
٢. الذنوب القلبية: كالحسد، واليأس، والقنوط.

وهناك فرق بين اليأس والقنوط فالإيأس انقطاع الطمع في شيء، أما القنوط فأشد اليأس. قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۗ ﴾ [الزمر: ٥٣] يخاطب الله في هذه الآية عباده المفسرين. والإسراف: مجاوزة الحد في الشيء، وينهاهم أن يقنطوا من مغفرته، فما عليهم إلا التوبة ذلك أن اليأس والقنوط ذنوب آخر فوق ذنوبهم بل عدّه بعض العلماء كبيرة من الكبائر. ومصادر اليأس كثيرة قد يكون مصدره الإنسان نفسه أو شخصاً آخر، كأن تريد هداية أحدهم فتدعو له وتسعى جاهداً لذلك وهو يزداد طغياناً . فيدخل قلبك اليأس من هدايته. وقد تيأس من تفريج كرب ما أو شفاء أحد ما. وقد نهى الإسلام عن اليأس. وقال بعضهم: ” من سوء الأدب مع الله أن تيأس من رحمته“.



ويقول الله عز وجل على لسان نبيه يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿يَبْنَیْ اُذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ یُوسُفَ وَآخِیْهِ وَلاَ تَأْیَسُوا مِنْ رُوحِ اللّٰهِ ۗ اِنَّهُ لَا یَأْیَسُ مِنْ رُوحِ اللّٰهِ اِلاَّ الْقَوْمُ الْکٰفِرُوْنَ﴾ [یوسف: ۷۸].  
فلما اشتد على يعقوب بلاؤه بفقد كلا ولديه رفع شكايته إلى ربه موقنًا بالفرج من عنده. قال تعالى: ﴿اِنَّمَا اَشْكُوا بَنِيَّ وَحَزْنِي اِلَى اللّٰهِ وَاعْلَمَ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [یوسف: ۸۶].

وعلى الرغم من شدة ابتلاء الله عز وجل يعقوب عليه السلام فلم يقنط وظل ملتصقًا برحمته جل في علاه. يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلاَّ الضَّالُّوْنَ﴾ [الحجر: ۵۶].  
فاليأس صفة من صفات الكفار وأهل الضلال.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله".

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان أنه جاهل ظالم فإذا أذاقه منه رحمة كالرزق، أو الولد، أو الصحة، ونحو ذلك ثم نزعها منه فإنه يستسلم لليأس".

فلا يملك أيّ وازع للرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، ولا يستشعر حكمة الله عز وجل في هذا البلاء. فكل مصائب الناس من كسب أيديهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ۳۶].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ۴۱].

فإياك أن تكون ضعيفًا في تحمل المصائب كي لا تكون فريسة سهلة للشيطان فيوقع في قلبك اليأس من الله، واليأس ذنب كبقية الذنوب لأن فيه تكذيبًا لله ورسوله.

قال القرطبي رحمه الله: "اليأس من رحمة الله. قال الله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ۷]، فالإيأس شيء خلقه الله ورحمة الله بلغت كل شيء، فأحسن الظن بالله؛ فإن من أعظم العبادات في أيامنا هذه إحسان الظن بالله.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء"، ذلك أن الله وعد بالإجابة وتكفل بذلك، وهي شيء مضمون أمّا الدعاء فلا يؤتبه الله أيًا كان.

### ❖ اليأس سبب الهلكة

اليأس سبب في الوقوع في الهلاك، وقال عبيدة السلماني -رحمه الله- في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ۱۹۵]: "التهلكة: هي القنوط، فإذا أيأسك الشيطان من نفسك فقد هلكت".

وقال ابن حجر رحمه الله: "القائظ آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها".



فمن تخلّل اليأس قلبه ثقلت عباداته عليه من صلاةٍ وصيامٍ وأذكارٍ وقراءة قرآنٍ لليأس الذي حال بينه وبين ربه.

وهنا أذكر لكم قصة إحدى الفتيات كانت تكثر من العبادة وفجأة ابتلاها الله بالمرض ثم أصبح أداء العبادات ثقيلاً عليها فلم يعد بمقدورها قيام الليل وحفظ القرآن وقول الأذكار وفقدت الخشوع في الصلاة. وقد كانت ملتزمة بالأذكار بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، فأصبح ذلك صعباً عليها، فلما مضى شهرٌ وشهران خافت أن يكون الله لا يحبها فأبعدها عنه وعن طاعته وبأن هذا ابتلاء منه جلّ في علاه، فالتقت بامرأةٍ وقصّت لها القصة كاملةً وما كان منها إلا أن قالت لها: إذا كان هذا ابتلاءً فالله يبتلي من يحب وأنت لا تزالين تذكرين الله وإن هذا البلاء سينتهي وتعود صحتك كما كانت لكن الأهم من ذلك أن تنجحي في الاختبار” فتذكرت الفتاة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المبتلين: **”أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم العلماء، ثم الأمثل فالأمثل”** .<sup>١</sup>

فتقول الفتاة: ”فانتقلت من شعور اليأس والقنوط إلى شعور الرضا والقبول، وعادت لي همتي في العبادة، وأكملت علاجي”.

وهذا يشبه ما جرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انقطع عنه الوحي فأخذت قريش تقول له: **”إنّ ربك قد قلاك أي: تركك وكرهك، فكاد النبي عليه الصلاة والسلام أن يقتله الحزن، فنزلت سورة الضحى لتطمئنه:**  
**﴿وَالضُّحَىٰ ( ١ ) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ( ٢ ) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ( ٣ ) وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ( ٤ ) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٥]**.

فقد يكون الفرغ قريباً منك وأنت لا تشعر ولحظات السرور خلف هذا الاختبار.

كل هذا اليأس بسبب الذنوب التي يحسبها العبد هيئة، هذا اليأس هو من سوء الأدب مع الله أنك تيأس في حالك تيأس في ابنك تيأس في أي شيء من الذي تتخيله وأنه لا يمكن أن ينصلح هذا الحال.

## ❖ فَشْرَبَ حَتَّى رَضِيَتْ

ومن ذنوبنا القلبية عدم حب الله عز وجل وحقيقة الحب التضحية وأن تؤثر ما يحب محبوبك على ما تحبه أنت وأعظم من جسد مفهوم الحب الصادق أبو بكر رضي الله عنه يقول: **”لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَرْنَا بِرَاعِيٍّ، وَقَدْ عَطَشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَحَلَبْتُ لَهُ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيَتْ“** ١.

## ❖ اللَّهُ يَكْرَهُ أَدَى الْمُؤْمِنِ

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **”إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ“** ٣ وفي رواية أخرى: **”فَإِنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ“** ٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يدكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقيتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: ”هي في النار...“** ٥.

فهذه المرأة قدرت على كل الطاعات لكنها لم تقدر على منع لسانها من أعراض الناس، فباعت بفضب من الله.

فإذا كانت النار عاقبة من يؤذي غيره فما أجر من يزيل الأذى عنهم؟

أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن له أعظم القربات عند الله عز وجل، فهو في أعلى منازل الجنة يتقلب فيها حيث شاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **”لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ“** ٦.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه.

٤ أخرجه مسلم في صحيحه.

٥ أخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

٦ أخرجه مسلم في صحيحه.

### ❖ الحياء من الإيمان

والحجاب شعار المرأة وقد جاء الدين ساترًا وحافظًا لها. وقد كانت زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته مثلاً يُحتذى في الحياء والستر والعفاف فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تستحي من عمر رضي الله عنه لما دفن في حجرتها إلى جوار زوجها وأبيها فإذا كان هذا حياؤها ممن مات من الرجال فكيف به يكون مع من لا يزال على قيد الحياة.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: **كُنْتُ أُدْخِلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي، فَأُضَعُّ ثُوبِي، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عَمَرَ مَعَهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مُشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي؛ حَيَاءً مِنْ عَمْرٍَا<sup>٧</sup>**

وهذه فاطمة الزهراء رضي الله عنها تخاف على نفسها أن يكشف جسدها على الرجال إذا ما ماتت وهذا من شدة حياؤها. فعن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: **يا أسماء -وهي أسماء بنت عُمَيْس- إِنِّي قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يَصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يُطَرِّحُ عَلَيَّ الْمَرْأَةَ الثَّوْبَ فَيَصْفُهَا. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: "يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا أُرِيكَ شَيْئًا رَأَيْتَهُ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ؟ فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطْبِيَّةٍ فَحَنَّتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثُوبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا أَحْسَنَ هَذَا. إِذَا مِتَ فَاصْنَعِي ذَلِكَ لِي"<sup>٨</sup>.**

وما يحدث الآن من هتك المرأة سترها وحجابها وتبرجها للناس صار من الذنوب التي تعايشت معها فظنتها هينةً، وهو عند الله عظيم، والبروج: المعالم البارزة التي يُنظر إليها. قال تعالى: **{وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}** [الأحزاب: ٣٣].

فعلى المرأة المسلمة أن تحسن اختيار لباسها وألا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى وأن تلتزم شرع الله سبحانه وتعالى لا ما تهواه نفسها.

وقد جاء الأمر بغض البصر للرجال قبل النساء قال تعالى: **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)}** وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُ {النور: ٣٠-٣١}.

<sup>٧</sup> أخرجه شعيب الأرنؤوط، وصححه على شرط الشيخين.

<sup>٨</sup> أخرجه البيهقي في سننه.

ونهى الله عن وضع الزينة كل نساء المسلمين. قال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠].

والقواعد هن النساء الطاعنات في السن وعلى الرغم من كبرهن في السن فقد أجاز الله لهن كشف وجههن ولكن بلا تبرج أو زينة.

فالمراة عندما تعتاد الخروج بلا حجاب أو بحجاب ناقص وفاضح فإنها تفتح بابًا للذنوب لا يُغلق إلا برجعها إلى بيتها. فحاذري -أختاه- أن تجترئي على الله عز وجل وتعتادي الذنوب بشكل يومي ظنًا منك أنها صغيرة وهيئة فتقع في الحرام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدَ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا"<sup>٩</sup>.

ومائلات مميلات أي مائلات عن الحق يعني انحرفن عنه مميلات لغيرهن عن الطريق.

#### ❖ امرأة من الجنة

عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه قال: قال لي ابن عباس: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: "إني أُصرَعُ، وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يُعافيك" فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشّف، فادع الله لي أن لا أتكشّف، فدعا لها"<sup>١٠</sup>.

فلما خيّرت بين أمرين الصبر على الألم لقاء الجنة أو الشفاء اختارت الأول بلا أي ترددٍ أو تفكير، فلم تعبأ بشدة الألم الذي يصيبها وإنما كان ما يشغلها تكشّفها أمام المارة.

<sup>٩</sup> أخرجه مسلم في صحيحه.

<sup>١٠</sup> أخرجه البخاري في صحيحه.

أسأل الله أن يحبب لنا هذا الدين ويزينه في قلوبنا ويكرّم إلينا الكفر والفسوق والعصيان. هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القراء وبما لا يخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها